آفـــاق المعرفـــة

بين المركز والمحيط: الأدب العربي في دائرة الأدب العالمي

د. عبد النبي اصطيف*

تقديم:

وضعت أوربة المتمركزة حول نفسها «الأدب الغربي» في المركز من دائرة الأدب العالمي، لتترك المحيط للآداب الأخرى ولاسيما آداب دول الجنوب -بما في ذلك الأدب العربي. ومضت إلى أكثر من هذا عندما جعلت «الأدب الغربي» المعيار الذي يقاس به تقدم أي أدب، وحوّلت عملية «التحديث» التي روّجت لها بين آداب الجنوب «التقليدية» إلى عملية «تغريب».

* د. عبد النبي اصطيف: أديب وباحث من سورية، عضو اتحاد الكتاب العرب. استاذ الأدب المقارن والنقد الحديث في جامعة دمشق.

ولكن المفارقة تكمن في أن هذا الأدب الغربي مدين بنشأته ونموه وتطوّره لتلك الآداب التي دفعها إلى محيط دائرة الأدب العالمي، وأن هذه الآداب مؤهلة في الحقيقة أكثر منه لاحتلال مركز الدائرة.

المشابهة:

المركز والمحيط عنصران مهمان في أي دائرة. فدون المركز ليس ثمة من منطلق يُحدّد المرء به مسار القوس الذي يكتمل بالمضي قدماً في مساره المنحني إلى أن يلتقي من جديد بنقطة انطلاقه، ويغدو بذلك حلقة تامة؛ ودون المحيط ليس هناك من دائرة، بل مجرد نقطة تائهة في فسحة space لا سبيل إلى أسرها وتحديد موضعها، وبالتالي تقدير منزلتها وأهميتها. ومعنى هذا أن العلاقة بين المركز والمحيط في أية دائرة علاقة وثيقة، بل جد حميمة، ذلك أن المحيط، بمعنى ما، ليس غير مركز توسّع فبلغ ما بلغ وأصبح محيطاً، وأن المركز، بمعنى ما أيضاً، ليس غير محيط انكفأ على نفسه وانكمش ليغدو نقطة تجمع وارتداد إلى نقطة البدء. وللمرء أن يتخيّل هذه العلاقة عندما يتمثل حركة كاميرا التصوير السينمائية أو التلفزيونية بين أقصى نقاط أرضية الصورة background عمقاً، وبين أقرب اتساع لهذه النقطة في فسحتها الأمامية foreground، وهو ما يطلق عليه المختصون حركة الـ zoom صعوداً وهبوطاً، قرباً وبعداً، بين أرضية الفسحة التي تحتويها الصورة وبين أماميتها. ولا ينسى المرء بالطبع أن العلاقة بين المركز والمحيط في أية دائرة تنطوي على مفارقة مثيرة للانتباه وهي أنه كلما ابتعد المحيط عن المركز اتسعت الدائرة وتنامت فسحتها وأهميتها.

دائرة الأدب العالمي:

وإذا ما تمثل المرء مفهوم «الأدب العالمي» «Weltliteratur»أو«World Literature» دائرة واسعة تضم مجموعة كبيرة من الآداب القومية المختلفة، القديمة والوسيطة والحديثة، يتوضّع بعضها في المركز من هذه الدائرة، في حين يقبع بعضها الآخر في المحيط منها، ويشغل البعض الثالث مواضع

متفرقة فيما بين المركز والمحيط، فإنه لابد مسائل نفسه عن المعايير المعتمدة في توزيع مناطق، أو حلقات، هذه الدائرة على هذه الآداب القومية المختلفة وفي تحديد مدى قرب بعضها أو بعده عن المركز من جانب، أو عن المحيط من جانب آخر. وهو تساؤل مشروع لأن الإجابة عليه تنطوي على فهم معين لطبيعة الأدب ووظيفته وحدوده في المجتمع الإنساني. ومعنى هذا أن إطلاق التساؤل من ناحية والسعي إلى الإجابة عنه من ناحية أخرى يدخلان في صلب التفكير النقدي في المسألة الأدبية في المجتمع الإنساني. وأكثر من هذا، فإن انطلاق مسعى كهذا من منظور مقارن، يعني اتساع أفق استشراف عملية التفاعل بين الآداب القومية اتساعاً يمكنه من احتضان الغنى والتنوع اللذين تنطوي عليهما التجربة الإنسانية في الأدب.

مفهوم الأدب العالمي ونزعة التمركز حول الذات:

والناظر في حقيقة مفهوم «الأدب العالمي»، -هذا المصطلح الذي سكّه غوته عام ١٨٢٧- [١] كما يتصوّره منظرو الدراسات الأدبية المقارنة في الغرب يجد أنّه ينطلق من تمركز مسرف حول الذات الأوربية يكاد يبلغ النرجسية. ذلك أن أوربة القرن التاسع عشر، التي اكتمل وعيها بذاتها بوصفها قوة عالمية مهيمنة على مقدرات العالم ولاسيما دول الجنوب، التي غدت مرتعاً خصباً لتحقيق الذات الأوربية على كل المستويات، وعلى حساب سائر الذوات في سائر العالم، وضعت أدبها الغربي في المركز من دائرة الأدب العالمي، وتركت المحيط للآداب الأخرى (القديمة كالأدب الصيني، والياباني، والفارسي، والهندي، والعربي؛ والحديثة كالإفريقي والآسيوي والأمريكي اللاتيني وغيرها)... بل إن أوربة مضت في هذا السبيل إلى أبعدمن هذا فجعلت من «الأدب الغربي» «western lierture» بأجناسه الرئيسية والفرعية، وتقنياته الفنية، وحساسياته النفسية والاجتماعية، وقيمه الجمالية، ومشاغله الإنسانية، معياراً تقوّم به الآداب الأخرى، وتقيس من خلاله تقدّم أي أدب آخر، وحوّلت عملية «التحديث»

«modernization» التي روّجت لهـا بين آداب الجنوب -ومنهـا الأدب العـربي- إلى عـملية «تغـريب» «westernization» أي أنهـا بعبـارة أخرى جعلت من ذاتها المسطرة التي تمثل القيم الإيجابية على مختلف الأصعدة والتي ينبغي للآخر غير الأوروبي أن يقيس بها نفسه ويحكم عليها، وأن ينفق حياته جاهداً لتمثل هذه القيم واتخاذها المثال الذي يحتذى والمآل الذي يُسعى إليه.

والحقيقة أن مفهوم «الأدب العالمي، مفهوم ينبغي أن يحمل في صلب دلالته كما يبدو للمرء، بعداً عبر قومي transnational، عبر إقليمي tansre-gional، عبر لغوي translingual، وبالتالي فإنه لا يسعه إلا أن يستغرب أشدالاستغراب أن يكون محكوماً بنزعة المركزية الأوربية Eurocentrism. وسواء أقصد بهذا المفهوم هذا المزيج الغامض من آداب العالم كلها -على حدّ تعبير إدوارد سعيد- أم قصد به «الكتب العظيمة»[٢] «Great Books» أو «الروائع «Masterpieces» التي تتجاوز في تأثيرها الحدودالسياسية واللغوية والقومية، فانه مفهوم يُعنى بالأدب -بوصفه واحداً من الفنون الجميلة- عناية تتجاوز الحدود السياسية واللغوية والقومية والإقليمية الضيقة، وينظر إليه نظرة تتسم بالرحابة والشمول. ومعنى هذا أن أي موقف يجانب هذه النظرة الإنسانية الشاملة الرحبة سيكون مناقضاً لروح المفهوم ذاته، وسيكون بالتالي معيقاً لتطوره إلى حيثما يرجو له الباحثون من مواقع ترسخ قيم التعاون والمشاركة والتفاهم والاحترام المتبادل بين مختلف الشعوب والأمم، من خلال تثبيت هذه القيم عبر فنونها الجميلة بوصفها الوسيلة الأمثل لغرسها في النفوس والأرواح، والضمان الأمثل لبقائها في الفسحة الإنسانية التي طالما حرصت عليها سائر الأديان والعقائد والمذاهب والحضارات البشرية عبر العصور، في شرق العالم وغربه، وشمـاله وجنوبه، إعلاء لإنسانية الجنس البشري، وتحقيقاً لجوهر تساميه.

ولكن النزعة المركزية الأوربية ليست مرفوضة فقط على أساس من

تناقضها مع روح الأدب العالمي بأبعاده المتجاوزة للحدود السياسية واللغوية والقومية والإقليمية، وقيمه، التي تعلي من إنسانية الإنسان بصرف النظر عن لونه وجنسه وعرقه ولغته ودينه وسنه، بل هي مرفوضة أيضاً لمجافاتها الحقيقة العلمية الصريحة التي بدأت تتجلى بالتدريج لدارسي الأدب العالمي ومؤرخيه، وفحوى هذه الحقيقة يمكن تلخيصه على النحو التالي: «إن الأدب الغربي الذي استأثر بالمركز من دائرة الأدب العالمي، ودفع بسائر الآداب الأخرى إلى المحيط، مدين بنشأته ونموّه وتطوره في شقيه الشفوي والمكتوب، الشعبي والرسمي، وفي مختلف أجناسه لتلك الآداب التي ربما كانت مؤهلة أكثر منه لشغل مركز هذه الدائرة».

فأما الجزء الشفوي والشعبي من هذا الأدب فهو مدين للشرق وآدابه بالكثير من موضوعاته وأجناسه وتقنياته وصوره وقيمه، كما توضح ذلك الأبحاث المقارنة المنشورة حديثاً في شرق العالم وغربه. وحسب المرء أن يشير إلى كتاب إل. رانيلا. EL. Ranelagh الموسوم بـ «**الماضي المشترك: أصول الآداب الشعبية الغربية**»[٣]، التي ظهرت ترجمته في مطلع هذا العام (١٩٩٩)، عن سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت، وقامت بها خبيرة الأدب الشعبي في الثقافة الحديثة الباحثة الدكتورة نبيلة إبراهيم، وراجعتها الباحثة الدكتورة فاطمة موسى الخبيرة العربية الأولى بعالم «**ألف ليلة وليلة**» وتأثيره الواسع في الآداب الأوربية.

يكتب رانيلا مقدماً كتابه المثير الذي صدر أول ما صدر عام ١٩٧٩:

«إن فكرة المصادر الثلاثة للثقافة الغربية، التي يعد الجانب العربي مصدراً مهماً، ربما لا تكون جديدة على الباحثين الأكاديميين، ولكنها مفاجئة لما عداهم..

وقد تعلمنا أن حضارتنا نشأت عن جذور كلاسيكية ومسيحية، أي يونانية، ثم مسيحية -يهودية، وأن العناصر الكلاسيكية ظلت مفقودة في معظمها، إلى أن أعيد اكتشافها فيما عرف بعصر النهضة، أما اليوم فبعد أن

أصبح العالم أصغر، ووسائل الاتصال فيه أيسر، والمؤسسات الدينية أكثر استرخاء، وتبادل المعلومات العلمية أكثر انتشاراً، فإننا قد اعترفنا بالأرض المشتركة بيننا وبين العرب، فثقافة العصور الوسطى كانت في الحقيقة إغريقية -لاتينية- عربية.

لقد وصل إلينا الأدب الإغريقي من خلال الرومان، أي أنه وصل إلينا باللغة اللاتينية، إلا أن الجانب الأكبر من المعارف الإغريقية التي تضمنت العلم والفلسفة، وصلنا عن طريق البيزنطيين من خلال الترجمة العربية عن الإغريقية، وقد نمّى العرب هذه المعارف، وانتقلت عنهم في العصور الوسطى إلى اللغة اللاتينية، لقد كانت إسبانيا وصقلية جسرين للمشروعات الضخمة للترجمة في القرن الثاني عشر التي انتقلت عبرها المعارف العلمية من العرب إلى غرب أوربا، التي كانت آنذاك في مرحلة بدائية(٤).

ويضيف مخصصاً الحديث عن موروث أوربة من العرب ولاسيما في ميدان الأدب الشفوي فيقول: «وأهم ما يعنينا ههنا هو ما ورثناه عن العرب لأنه غير مألوف لدينا، وليس هذا بالأمر الهيّن، فالناس الذين سموا في العصور الوسطى بالعرب، أتوا من مجموعات إثنية مختلفة، من بينهم اليونانيون والفرس والهنود والقبط والأتراك والأرمن واليهود. وقد تم استيعاب الحضارة الغنية التي يمثلونها في الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية، ولكن انتشار الإسلام في القرن السابع فرض عليهم ثقافة جديدة هي ثقافة الغزاة، وقد عبرت عن نفسها في أسلوب عربي جديد في الحياة.

وكانت الحقيقة الجوهرية لهذه الثقافة هي الإسلام، دينها الرسمي، كما أن وسيلتها في التعبير هي اللغة العربية: لغة القرآن الكريم. ومع ذلك ففي الأساس من هذه العوامل الجامعة، هناك التاريخ الفكري المركب الذي يعكسه الأدب العربي في العصور الوسطى، وكان التيار الهائل من القص الشعبي جزءاً من هذا الأدب. وكثيراً ما ظهر هذا القص مدوناً أولا في الهند أو في بلاد فارس، ومن ثم صنف بوصفه أدباً إلى جانب أنه فولكلور، إلا

أنه كان شفاهياً في المحل الأول، شارك فيه، المتحدثون باللغة العربية، ونقلوه معهم إلى أوروبا في أثناء توسعهم، وعلى الرغم من أن العصور الوسطى كانت هي الفترة الخصبة للتأثير العربي، فقد استمرت حركة تلاقي الحضارات بعد ذلك، ثم جاء عصر النهضة، وفي هذا العصر أدخلت المخطوطات الكلاسيكية للأدب الإغريقي إلى دائرة العلم الغربي حيث حلت اللغات العامية محل اللاتينية. ثم جاء العصر الحديث ومعه أشكال لا نهاية لها من المثاقفة، واليوم لا يشمل مصطلح «الأوروبي» على ما هو حاصل، على الأزمنة الإغريقية، والمسيحية اللاتينية مجتمعة فحسب، بل يشتمل كذلك على القوميات الحديثة، ولا يقتصر على القطاعين الإغريقي واللاتيني للتقسيم الثلاثي للعصور الوسطى، فخلال العصور الوسطى كانت هناك ثلاثة عوامل منفصلة، ولكننا بدءاً من عصر النهضة، يمكننا الحديث عن عاملين وهما أوروبا والشرق(٥).

وأما الجزء المدوّن من الأدب الغربي الرسمي فإنه بمكوّناته المختلفة جميعها مدين للشرق، ولاسيما الشرق العربي، فإذا ما كانت مكوّنات الأدب الغربي تشمل فيما تشمل:

أ - المكوّن الكلاسي المتمثل بالأدب اليوناني والأدب الروماني واللذين أدت اللغة اللاتينية دوراً مهماً جداً في حفظهما ونقلهما ونشرهما في كل أنحاء أوروبة.

ب - المكوّن الديني المتمثل بالديانتين اليهودية والمسيحية وأسفار العهدين القديم والجديد التي حُفِظت وشُرِحت ودُرِست وانتقلت وانتشرت الانتشار الواسع حتى مطلع عصر النهضة من خلال اللغة اللاتينية.

ج - الخبرة الناجمة عن تجارب الواقع المعيش بكل جوانبه، والتي أدت فيه الحروب الداخلية والخارجية، والمواجهات مع «الآخر»«Theother» في مختلف الفسح المنتشرة على التخوم الأوربية شرقاً (في الشرق العربي في زمن الحروب الصليبية، وفي شرق أوربة وجنوبها

ولاسيما بلاد البلقان في زمن التوسع العثماني) وجنوباً (في صقيلية في زمن الحكم العربي المباشر ثم في العصر النورماندي) وغرباً (في شبه الجزيرة الإيبرية وعلى مدى نحو من عشرة قرون)، وفي مختلف بقاع الوطن العربي شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً (في زمن المدّ الاستعماري في القرنين الأخيرين).

فإن المرء يستطيع أن يتبين بسهولة حضور الشرق الواضح فيها جميعاً.

ففضلاً عما قام به العرب من دور حاسم في نقل التراث الكلاسي إلى أوربة عصر النهضة من خلال ترجمته وحفظه وتطويره والإضافة إليه، فإنه يمكن أن يشير إلى دور آداب الشرق القديم (في بلاد الرافدين والشام ومصر) في نشأة الأدب اليوناني ومن بعده الأدب الروماني ونموهما وتطورهما. وعلى الرغم من أن هذا الدَين كان، حتى عهد قريب، موضع خلاف شديد بين الباحثين الغربيين، فإن ثمة ما يشبه الإجماع اليوم على الإقرار به، وبات الخلاف يدور حول مقداره وحجمه ونوعه وطبيعة التغيرات التي أحدثها في الأدب الكلاسيكي.

وأما المكوّن الديني فإن التذكير بأصوله الشرقية كافٍ للتدليل على أهمية مثول الشرق فيه، فعلى الرغم من أن التراث الديني اليهودي - المسيحي بات يُنظر إليه في الغرب على أنه مُحدّد مهم جداً من محددات الهوية الغربية، ولاسيما بعد استحواذه وترجمته بداية إلى اللاتينية، وبعدها إلى سائر اللغات الأوربية الحديثة، فإن إحداً لا يماري في أن الشرق العربي كان مهد هذا التراث، وأنه حاضر فيه جغرافية وتاريخاً وقيماً وطرائق حياة. ولعل الحنين الأبدي فيما يبدو، إلى الشرق الذي نجده قد تخلل الحياة الأوربية حتى الحديثة منها، والرغبة المستمرة في الحج إلى أرض التوراة، أو مهد المسيح في فلسطين التي تدعى في الكتابات الأوربية «بالأراضي المقدسة»، يعكسان شيئاً من الإقرار الضمني بهذا المثول الشرقي في التراث اليهودي-المسيحي الذي تبناه الغرب.

وأما تجارب الواقع المعيش في الغرب في عصور ما قبل الميلاد وبعده، فإن حضور الشرق فيها قديم ومستمر وشامل، ولا حاجة إلى حشد التفضيلات التاريخية للتدليل عليه، لأنه أوضح من أن يُشار إليه أولاً، ولأنه كان بالفعل العامل الأهم في تحديد هوية الغرب الأوربي ولاسيما بعد ظهور الإسلام وانتشاره وتوسعه الشامل على حساب الغرب الأوربي الذي جعل المتوسط بكامله في يوم ما مجرد بحيرة داخلية فيه.

وإذا ما تجاوز المرء مكوّنات الأدب الغربي، التي تنطوي جميعها على حضور بَيّن للشرق قديمه ووسيطه وحديثه، وأنعم النظر في أجناسه الرئيسية. فإنه واجد أن أقدمها وهو الملحمةEpic والمسرحية Drama، والشعر الغنائي Lyrical Poetry، مدينة للشرق القديم وآدابه المختلفة المتنوعة والغنية والعريقة بالكثير الكثير. بل إن جملة مهمة من الأساطير التي تتضمنها هذه الأجناس ليست غير نسخة يونانية عن أساطير الشرق القديم، والأدنى منه بشكل خاص.

وأما نثره القصصي«Prose Fiction» فحسب المرء الإشارة إلى البصمات التي تركتها آثار عربية من مثل «كليلة ودمنة» بترجمة عبد الله بن المقفع، **و«ألف ليلة وليلة»، أو «الليالي العربية»** «The Ar abian Nights» كما يحب الأوروبيون أن يدعوها، والمقامات وحكايا الشطار والعيارين وغيرهامن مختلف آثار عصر النهضة وروائعه، وما تلاه بعد ذلك، ولاسيما فيما يسمى برواية الكدية أو البيكاريسك «Picaresque» وفي أعمال كبار الكتّاب الأوروبيين من أمثال تشوسر **(حكايات كانتربري)**، وبوكاتشيو **(ديكاميرون)** وثيربانتس **(دون كيخوته)** وغيرهم، وبالطبع فإن هذه الآثار العربية لم تكن إلا ذروة جبل جليدي ضخم ينبغي للغرب أن ينقب فيه عن أصل جنس الرواية كما تشير إلى ذلك الباحثة والروائية الأمريكية مارغريت آن دودي Margaret Anne Doodyفي كتابها الضخم «القصة الحقيقية للرواية»، الذي صدر عام

١٩٩٧ على شاطئي الأطلسي، والذي تستعين فيه بمصدر مهم جداً عن هذه القصة التي يرويها كتابها هو كتاب: Pierre-Daniel Huer الموسوم بـ «بحث في أصول الروايات» «Traié de l'origine de romans» لتُذكر على لسان هذا الأسقف بأن الرواية الأوربية لم تبدأ في فرنسة أو إسبانية (القريبتين بالطبع من الثقافة العربية الإسلامية)، وأن علينا أن نمضي أبعد منهما في الزمان والمكان بحثاً عن البدايات الأولى للرواية، بل ربما أبعد من الرومان واليونان لأننا بكل بساطة لن نجدها لديهما:

«وإنما لدى الشرقيين، أعني المصريين، والعرب، والهنود، والسوريين»... ذلك أن معظم الروائيين العظام في العصور القديمة قد جاؤوا من تلك الشعوب على حد قوله. «إنها الشعوب الشرقية، الشرقيون، الذين يظهرون، وإلى المدى الأتمّ، القدرات الإنسانية في سرعة البديهة، والخطاب، والخيال، وإنها هذه الخصائص التي استعملت على النحو الأفضل أول ما استعملت من جانب الشرقيين الذين منحونا روايتنا، التي كان أولَ ممارسيها السوريون، الفرس، والمصريون»(٦).

وأما شعره الغنائي، الذي سبق واستلهم آداب الشرق القديم، فإن إحياءه ونموه وازدهاره مجدداً في عصر النهضة، إنما يعود إلى تأثير الموشحات والأزجال العربية والأندلسية التي توسّط شعراء التروبادور في نقل ما تنطوي عليه من قيم فنية وجمالية واجتماعية، واهتمامات وموضوعات إنسانية، إلى الشعر الغنائي الأوروبي في مختلف بقاع القارة الأوربية. ولاريب أنه لولا التأثير العربي لما كان للأوروبيين على الأقل الجنس الشعري الفرعي المعروف لديهم بالسوناتا التي تألق شكلها البتراركي -نسبة إلى الشاعر الإيطالي بترارك- بفضل الشعراء العرب في الأندلس.

والحقيقة أن الكشوف الأخيرة المتصلة بدور الأدب العربي في حفز الكثير من تطورات الأدب الغربي بأجناسه المختلفة ولاسيما في عصر

النهضة، أو ما سمته الباحثة المقارنة ماريا روزامينوكال M.R.Menocal بـ «التراث المنسي»[٧]، «Forgotten Heritage» جعلت الناس يدعون بإلحاح إلى إعادة النظر في تاريخ الأدب العالمي ولاسيما في العصور الوسطى وعصر النهضة، بغرض نسبة الفضل إلى ذويه وبخاصة العرب الذين لم يكونوا أساتذة أوربة في الفكر والعلوم والمعارف المختلفة بل كانوا شيوخها أيضاً في فن القول الشعري والنثري أيضاً.

ومعنى هذا أن الأدب العربي مؤهل بعد اكتشاف دوره المهم في التاريخ الأدبي العالمي الوسيط على يد مينوكال ومن قبلها أليس، إي، لاستر Alice Elaster في كتابها ذي العنوان الموحي «**إسبانية إلى إنكلترة: دراسة مقارنة للأدب العربي والأوربي والإنكليزي في العصور الوسطى**»[٨]، لشغل موقع أقرب إلى المركز في دائرة «الأدب العالمي» لدوره الريادي في تطوير الأدب الغربي نفسه- والذي وضع في المركز زوراً وبهتاناً وربما بسلطان القوة أساساً، وليس عن جدارة مطلقة ومؤهلات ذاتية فيه، لا تتوفر لغيره من الآداب القومية الأخرى.

ومما يعزز موقع الأدب العربي المتنامي في دائرة الأدب العالمي حركة ترجمة الأدب العربي النشطة إلى مختلف لغات العالم الرئيسية ولاسيما اللغة الإنجليزية، التي تكاد تكون اليوم لغة عالمية، وازدهار مراكز دراسته في مختلف الجامعات الأوربية والأمريكية، بل وفي سائر العالم، وبخاصة بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨.

وفضلاً عما تقدم فإن كتابات المؤلفين العرب المعاصرين باللغات الأجنبية تؤدي في هذه الأيام دوراً مهماً جداً في إعداد الحساسية النفسية والفنية والاجتماعية للقارىء الغربي وتهيئته على نحو أفضل لاستقبال الأدب العربي المترجم كما يليق به بوصفه أدباً، يتمتع بصفتين مهمتين جداً، ربما لا تتوافران لغيره من الآداب بالدرجة نفسها وهما العراقة والاستمرار. ذلك أن الأدب العربي يتميز بكونه أدباً عريقاً وحياً في آن معاً.

ويمكن للمرء هنا أن يشير إلى آثار كل من صلاح ستيتية، وألبير قصيري، وأمين معلوف، وأهداف سويف، وإبراهيم فوّال، وفاديا الفقير، والطاهر بن جلون، وإيتيل عدنان وغيرهم ... هذه الآثار التي تظفر باهتمام واسع ومتنام بين قراء الأدب الحديث، بل إن بعض هذه الأعمال بدأ يشق طريقه إلى قاعات الدرس والبحث ليندمج بمتن الأدب العالمي المعاصر.

والخلاصة أن المركزية الأوروبية التي دفعت بالأدب العربي إلى المحيط من دائرة الأدب العالمي، واستأثرت بالمركز لآدابها تجد نفسها مكرهة في العقود الأخيرة على التحول بهذا المركز ليقترب بذلك أكثر من الأدب العربي- والآداب الجنوبية الأخرى، (كالأدب الكاريبي) التي طالما هُمّشَت- الأمر الذي يؤذن باستعادة أدبنا دوره المركزي في تطوير الأدب العالمي، وإلهامه الكثير من قيمه وموضوعاته وتقنياته وفنونه. ولعل ذلك يمنحنا ثقة أكبر بأدبنا وثقافتنا فنكف عن التطلع إلى الأدب الغربي على أنه المثال والمآل.

الحواشـــي

١ - انظر:

Claudio Guillen

The Challenge of Comparative Literature,Translated by Cola Franzen (Harvard university press,Campridge, Ma, and London, 1993), p.37.

٢ - انظر: ادوارد سعيد، **الثقافة والإمبريالية**، نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب (دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧)، ص (١١٣).

٣ - انظر: أ. ل. رانيلا، **الماضي المشترك بين العرب والغرب: أصول الآداب الشعبية الغربية**، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، مراجعة د. فاطمة موسى، سلسلة عالم المعرفة، العدد٢٤١، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩).

٤ - انظر المرجع السابق، ص (١١).

٥ - انظر المرجع نفسه، ص ص (١٢-١٣).

٦ - انظر:

Margaret Anne Doody, The True Story of The Novel (Harper Collins Publishers, London, 1997).P.17.

٧ - انظر كتابها:

Maria Rosa Minocal

The Arabic Role in Midieval Lierary History: A Forgotten Heritage (University of pennsy lvania press, philadphia, 1987).

٨ - و انظر كتابها:

Alice E. Laster,

Spain To England: AComparative Study of Arabic, European and English Literature , of the Middle Ages (University press of Mississipi, Jackson, Mississipi, 1974).

* * *